المَحَجّة | العدد السابع والعشرون ٢٠١٣

مجلّة تُعنى بشؤون الفكر الدينيّ والفلسفة الإسلاميّة

المشرف العامّ	شفيق جرادي	
رئيس التحرير	محمود يونس	
إدارة التحرير	باسمة دولاني	عليّ الرضا رزق
المدير المسؤول	بدري معاوية	
الهيئة العلميّة	أحمد ماجد	عليّ يوسف
	حبيب فياض	عليّ الموسوي
	حسين إبراهيم	محمّد زراقط
	سمير خير الدين	مصطفى الحاجّ عليّ
الهيئة الاستشاريّة	غلام رضا أعواني	جاد حاتم
	نادر البرزي	محمّد تقي السبحاني
	سعاد الحكيم	محمّد مصباحي
إخراج فنّيّ	IDEA CREATION Advertising Agency	

رسالة معهد المعارف الحكميّة: معهد المعارف الحكميّة (للدراسات الدينيّة والفلسفيّة) مؤسّسة بحثيّة تعليميّة، تنشط في الحقل الفكريّ من أجل توفير حضور فاعل في الوسط العلميّ والثقافيّ، وتجسير التواصل بين الاتّجاهات الدينيّة والفكريّة، من خلال الدراسات المعمّقة والتعليم التخصّصيّ، والأنشطة والنشر.

ضوابط النشر في مجلّة المحجّة: تنشر المحجّة الأوراق العلميّة والمقالات الفكريّة التي تتحقّق فيها الأصالة بحيث لا تكون قد نشرت سابقًا، أو مقدّمة للنشر في مكان آخر؛ تتولّى الهيئة العلميّة في المجلّة تحكيم المواد المقدّمة وترجيحها، على أن تبقى أسماء المحكّمين والكتّاب غير معلنة؛ يحقّ لإدارة التحرير إجراء التعديلات المناسبة على البحث بشكل منفرد أو بالاتّفاق مع الباحث؛ تُرفق جميع المساهمات بملخّص لا يزيد عن ١٥٠ كلمة، ولا يتمّ قبول الأبحاث التي لا تستوفي الشروط المبيّنة أعلاه. وتحتفظ دار المعارف الحكميّة بكامل حقوق الطبع والنشر للموادّ التي يتمّ نشرها في المجلّة.

ما يُنشر في المجلّة يعبّر عن رأي صاحبه ولا يعبّر بالضرورة عن رأي المجلّة.

تُرسل الاشتراكات والمراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:

معهد المعارف الحكميّة [للدراسات الدينيّة والفلسفيّة]

لبنان - الحدث - سانت تيريز - سنتر يحفوفي - بلوك C - الطابق الثالث

أو على رقم الحساب: بنك عودة 59129946100206401

almahajja@shurouk.org

00961-5-462191 / 00961-1-544622/1

ISSN: 2224-1094

الطبيعة البشريّة: العدالة في مقابل القوّة [1][1]

نقاش بين نوام تشومسكي وميشال فوكو

أدار النقاش فونس إلدرز

ترجمة عليّ يوسف ومحمّد عليّ جرادي

لئن شكّلت اللغة، أو الخطاب، نقطة الانطلاق في النقاش حول الطبيعة البشريّة بين تشومسكي وفوكو، فإنّ بؤرة النقاش كانت التداعيات السياسيّة للتصوّرات المختلفة حول الطبيعة. ففي حين يرتاب فوكو في «علميّة» مفهوم الطبيعة البشريّة، فهي عنده أقرب إلى أن تكون مؤشّرًا إبستمولوجيًّا استُعمل لتعيين بعض أنواع الخطاب في إزاء اللاهوت، أو البيولوجيا، أو التاريخ، فإنّ تشومسكي لا يجد مناصًا من قواعد انتظام ترشد سلوكنا الاجتماعيّ والفرديّ والفكريّ، وتجد في الذهن، أو الطبيعة البشريّة، موضعًا لها. بالتالي، فهو يعتبرها مبادئ جوّانيّة منظّمة. أمّا فوكو، في تشديده على لابدّيّة الحتميات التاريخيّة، فيقرّ بضرورة هذه القواعد، إلّا أنّه يموضعها خارج الذهن، في حقل الممارسات الإنسانيّة المختلفة (الاقتصاديّة والنفسيّة والاجتماعيّة والتقنيّة).

المفردات المفتاحيّة: الطبيعة البشريّة؛ التقدّم العلميّ؛ الإبداع؛ التقييد والحرّيّة؛ المعرفة والسلطة.

إلدرز: سيّداتي سادتي، نرحّب بكم في اللقاء الثالث من لقاءات مشروع الفلاسفة العالميّين. نستضيف اليوم كلًا من السيّد ميشال فوكو من جامعة كولّج دو فرانس Collège de France، والسيّد نوام تشومسكي من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا MIT. يتشارك الفيلسوفان في كثير من النقاط كما يختلفان في كثير منها. ولعلّ السبيل الأنجع إلى مقارنتهما هو بأن ننظر إليهما كحفّارَي أنفاق يحفران في نفس الجبل، من جهتَين متقابلتَين، على أنّ كلّ واحد منهما يعمل بأدوات مختلفة دون أن يعرف إن كان يحفر باتّجاه نظيره أم لا.

(١) نقاش أُجري بين الفيلسوفين في هولندا، في تشرين الثاني، نوفمبر، ١٩٧١؛ تجده كاملاً على الإنترنت
http://www.youtube.com/watch?v=myy3vL-QKI4

إلّا أنّ كلا الفيلسوفَين يُتمّ عمله بأفكار جديدة، فيتعمّق في الحفر أيّما تعمّق، ويتفانى في العمل في مجال الفلسفة كما في مجال السياسة. وهذا ما يعطينا سببًا كافيًا، على ما أعتقد، لأنّ نتوقّع نقاشًا حاميًا ومميّزًا في الفلسفة والسياسة.

لا أريد أن أضيّع أيّ وقت، لذا سنبدأ بسؤال مركزيّ يُطرح منذ الأزل، سؤال الطبيعة البشريّة.

تواجه كلّ الدراسات التي تعالج موضوع الإنسان، بدءًا بالتاريخ ووصولًا إلى الألسنيّة وعلم النفس، سؤالًا حول ما إذا كنّا نتاج عوامل خارجيّة، أو أنّنا، رغم كلّ اختلافاتنا، نملك شيئًا مشتركًا نميّز به أنفسنا كبشر، ونستطيع أن نسمّيه «الطبيعة البشريّة».

إذًا، سؤالي الأوّل موجّه إليك، سيّد تشومسكي، لأنّك كثيرًا ما تستعمل مصطلح الطبيعة البشريّة، بل وتتطرّق إلى مصطلحات من قبيل «الأفكار الجوّانيّة، الكامنة أو الذاتيّة، innate ideas»، و«البُنى الجوّانيّة innate structures». ما هي الحجج التي استطعت استخلاصها من اللسانيّات، وأتاحت لك إعطاء هذا الدور المركزيّ لمفهوم الطبيعة البشريّة؟

تشومسكي: دعني أبدأ كلامي بأسلوب تقنيّ بعض الشيء.

تواجه أيَّ مهتمّ بدراسة اللغة مجموعة من المشاكل الإمبريقيّة المحدّدة بشكل كبير. إذ إنّه أمام كائن عضويٍّ، ناضج، أو فلنقل بالغ، متكلّم، استطاع بطريقة ما أن يُحصّل مجموعة من القدرات التي تؤهّله ليقول ما يشاء، وأن يفهم خطاب الناس، منفّذًا كلّ ذلك بإبداع فائق. أي إنّ معظم ما نسمعه جديد، لا يشبه أيّ شيء مرّ في تجربة سابقة. وكذا الحال مع ما نقوله. ثمّ من الواضح أنّه ليس سلوكًا إبداعيًّا بنحو عشوائيّ، بل هو سلوك يناسب مقتضى الحال، وإن تعذّر علينا تشخيصه. وهو يملك في الحقيقة خصائص ممّا نستطيع أن نسمّيه إبداعًا.

وقد تعرّض هذا الشخص الذي حصّل هذه المجموعة من القدرات المعقّدة والمنظّمة والممفصلة – أي مجموع القدرات التي نسمّيها اللغة – لتجربة معيّنة؛ لقد تعرّض في سياق حياته لمجموعة من المعطيات وضعته أمام تجربة مباشرة مع اللغة.

نحن نستطيع أن نتقصّى المعطيات المتوفّرة لهذا الشخص؛ وإذ نقوم بذلك، فإنّنا نواجَه بمشكلة علميّة واضحة المعالم. إنّها مشكلة تفسير الهوّة بين الكميّة الضئيلة (جدًّا)، بل غير المتماسكة والمبتسرة، من المعطيات التي تُقدّم للطفل، وبين المعرفة العميقة والممفصلة والممنهجة – بل هي غاية في العُمق والمفصلة والمنهجة – التي يستقيها بطريقة ما من تلك

المعطيات الشحيحة.

وزد على ذلك أنّنا نلاحظ أنّ الأشخاص المختلفين، من ذوي الخبرات المتنوّعة، في إطار لغة بعينها، يصلون، في نهاية المطاف، إلى منظومات لغويّة متساوية ومتقاطعة إلى حدّ بعيد. فالمنظومتان التي يصل إليهما متكلّمان باللغة الإنكليزيّة، على اختلاف تجاربهما، هما منظومتان متقاطعتان، بمعنى أنّ ما يقوله الواحد منهما، يفهمه الآخر، وإن كان حقل الكلام أو الخبرة شاسعًا. وأكثر إلفاتًا، فإنّنا نلاحظ، في نطاق واسع من اللغات – كلّ اللغات التي درسناها بنحو جدّي في واقع الحال – وجود تقييدات بيّنة تحدّ نوع النُظُم التي تنبثق من الخبرات، المختلفة للغاية، التي يُحرزها أو يتعرّض لها الأشخاص.

ثَمّ تفسير واحد ممكن لهذه الظاهر الملفتة، أستطيع أن أختطّه أو أقدّمه بنحو اختطاطيّ schematic. والتفسير يتعلّق بالافتراض أنّ الفرد إيّاه يساهم بشكل كبير – بل هي المساهمة الكبرى – في تقديم البنية الاختطاطيّة العامّة، وحتّى المحتوى المعرفيّ الخاصّ الذي يستقيه من خبرته المحدودة والمتشظّية.

فالشخص الذي يعرف لغةً ما قد أحرز هذه المعرفة لأنّه قارب التجربة التعلُّميّة من خلال خطّة مفصّلة تُحدّد له نوع اللغة التي يتعرّض لها. أي، إذا أردنا أن نبسّط الكلام، فإنّ على الطفل أن ينطلق من معرفة أنّه يسمع لغةً بشريّةً واضحةً ومحدودة النطاق، بمعنى أنّها لا تسمح إلّا بنطاق ضيّق من المتغيّرات – بالطبع لسنا نقول إنّه يعرف أنّ ما يسمعه هو اللغة الإنكليزيّة، أو الألمانيّة، أو الفرنسيّة، أو غيرها. ولأنّه يبدأ بهذه الاختطاطة عالية التنظيم ومحدودة النطاق، فهو قادر على القيام بتلك القفزة الهائلة من مجموعة من المعطيات المتشظّية والمتآكلة إلى المعرفة المنظّمة التي يتوافر عليها. كما يجب أن أضيف أنّنا نستطيع أن نقطع شوطًا – شوطًا طويلًا برأيي – نحو تشخيص هذا النظام المعرفيّ، أو ما أسمّيه باللغة الجوّانيّة، أو اللغة الغريزيّة، التي توصل الطفل إلى تعلّم اللغات. كما ويمكننا أن نقطع شوطًا طويلًا نحو نظام التمثّلات الذهنيّة التي تحصل حين اكتساب هذا النحو من المعرفة باللغة.

أستطيع أن أدّعي، عندها، أنّ هذه المعرفة الغريزيّة، هذه الاختطاطة إذا أردتم، التي تجعل الوصول إلى معرفة معقّدة من خلال معلومات مجتزأة ومبتسرة للغاية أمرًا ممكنًا، هي واحدة من الأسس المكوّنة للطبيعة البشريّة. وهي كذلك لأنّ الدور الذي تضطلع به اللغة لا يقتصر على مجرّد عمليّة التواصل، بل يتعدّاها إلى التعبير عن الفكر، وإلى التفاعل مع الآخرين. وإنّي أتصور أنّ أمرًا من نفس السنخ يصدق على مجالات أخرى من مجالات الإدراك والسلوك

البشريّين.

إذًا، هـذه المجموعة، هذا الحشد مـن الاختطاطات، أو المبادئ الجوّانيّـة المنظِّمة، التي ترشد سلوكنا الاجتماعـيّ والفكريّ والفرديّ، هي ما أعنيه حين أتكلّم عن مفهوم الطبيعة البشريّة.

إلـدرز: حسنٌ، سيّـد فوكو، حين أفكّر بكتبـك، ككتابَي **تاريخ الجنون** و**الكلمات والأشـياء**، أكـوِّن انطباعًا بأنّك لا تعمل على مستوًى مختلـف تمامًا فحسب، بل إنّ هدفك مغاير تمامًا. إذ حـين أفكّر بمفردة «الاختطاطيّة schematism» فيما يتّصل بالطبيعة البشريّة، أفترض أنّك تحاول التمييز بين حقبات مختلفة لكلّ منها اختطاطتها الخاصّة. فما قولك في ذلك؟

فوكو: إذا لم يكن الأمر مزعجًا لكم، فإنّني سأجيب بالفرنسيّة لأنّ إنجليزيّتي فقيرة إلى درجة تجعلني أخجل من اعتمادها في الإجابة.

صحيـح. إنّ مقولة «الطبيعة البشريّة» تثير عندي الارتياب، وذلك للسبب التالي: أعتقد أنّ مـن المفاهيم، أو المقولات، التي يمكن لعلم مـا أن يستعملها، ما لا يتمتّع بالمستوى نفسه من التبلور، وما لا يكون له، بصورة عامّة، الوظيفة نفسها، أو الاستعمال نفسه، في الخطاب العلمـيّ. إذا أخذنا مثـلًا البيولوجيا، فسنجد أنّ لبعض المفاهيم وظيفـة تصنيف، ولبعضها الآخر وظيفة تمييز، أو تحليل. بعض هذه المفاهيم يُمكننا من وصف الأشياء (مفهوم «النسيج» مثـلًا)، وبعضها يميّز بـين العناصر (كما في «الخصائص الوراثيّـة»)، أو يثبت علاقةً ما («ردّ الفعل» مثلًا). وثَمّة، في الوقت عينه، عناصر لها دور في الخطاب (الخاصّ بهذا العلم)، وفي قواعـد الاستدلال الداخليّة الخاصّـة. ولكن ثَمّ مفاهيم محيطيّة، تعيّن بهـا الممارسةُ العلميّة هويّتهـا، وتتميّـز بها عن الممارسات الأخـرى، وتحدّد بها موضوعـات اشتغالها، وتعرّف بواسطتهـا كلّيّـةَ مهامّهـا المستقبليّة. في الواقـع، لقد نهض مفهوم «الحيـاة» بهذا الدور في البيولوجيا في حقبة معيّنة.

أمّا في القرنين السابع عشر والثامن عشر، فبالكاد كان هذا المفهوم (الحياة) مستعمَلًا في دراسة الطبيعة: لقد كانوا يعمدون إلى تصنيف الكائنات الطبيعيّة، حيّةً وغير حيّة، في قائمة تراتبيّـة تبدأ بالأملاح وتنتهي بالإنسان. والفصل بين الأملاح والنباتات والحيوانات لم يكن دقيقًـا إلّا بصـورة نسبيّة. إبستمولوجيًّا كان ينبغي تثبيـت كلّ منها، مرّةً واحدةً وإلى الأبد. الأمر الوحيد الذي كان ذا قيمة هامّة هو تثبيت وضع كلّ منها بصورة لا تقبل أيّ نقاش.

في أواخـر القرن الثامن عشر كان وصف هذه الكائنات الطبيعيّة وتحليلها يُظهر، بفضل أدوات جـدّ مطـوّرة وتقنيّات جديـدة، مجالًا كاملًا مـن الأغراض، وحقـلًا من العلاقات والتطوّرات، سمحت بتحديد الخاصّيّة النوعيّة للبيولوجيا في معرفة الطبيعة.

فهـل نستطيع أن نخلص إلى أنّ البحث في موضوع الحياة قد تكرّس أخيرًا في البيولوجيا لتصـير علم الحيـاة دون سواها؟ وهل كان مفهـوم «الحياة» هو المسؤول عـن تنظيم المعرفة البيولوجيّة؟ لا أظنّ ذلك؟ يبدو لي أنّ الاحتمال الأكثر قابليّةً للأخذ به هو أنّ تحوّلات المعرفة البيولوجيّـة في أواخر القـرن الثامن عشر قد ظهرت، من جهة، بفضـل سلسلة من المفاهيم الجديدة للخطاب العلميّ، وأدّت، من جهة ثانية، إلى ولادة مفهوم «الحياة» الذي مكّننا من موضعـة هذا النـوع من الخطاب العلميّ، وتعيين حدوده. مفهـوم «الحياة»، في رأيي، **ليس مفهومًـا علميًّا**. بل هو **مؤشّر إبسـتمولوجيّ**، كان لتصنيفـه، وتعيينه، ولغير ذلك من وظائفه أثر على النقاشات العلميّة، لا على الموضوع قيد النقاش.

مقولـة الطبيعة البشريّة، في ما يبدو لي، هي من النمـوذج نفسه. فليست دراسة الطبيعة البشريّة هي التي جعلت علماء اللسانيّة يكتشفون الإبدال الصرفيّ، أو جعلت فرويد يكتشف مبـادئ تعبير الأحلام، أو أدّت بعلمـاء الأنثروبولوجيا إلى اكتشاف بنية الأساطير. يبدو لي، بالتـالي، أنّ مقولـة الطبيعة البشريّـة، في تاريخ المعرفة، قـد أدّت دور مؤشّـر إبستمولوجيّ استُعمـل لتعيين بعض أنواع الخطـاب في إزاء اللاهوت، أو البيولوجيـا، أو التاريخ، وأجد صعوبةً كبيرة في اعتبارها مفهومًا علميًّا.

تشومسـكي: أرى في المقام الأوّل أنّنـا إن استطعنا تحديد خصائص البنية الإدراكيّة التي تجعل مـن تعلّم الطفل هـذه المنظومات المعقّدة أمـرًا ممكنًا، مثلًا، أقـول إن استطعنا تحديدها في شبكات عصبيّة، فعندها لن أتردّد على الأقل في وصف هذه الخصائص على أنّها من العناصر المكوّنـة للطبيعة البشريّـة. أي إنّ ثمّة أمرًا معطًى، غير قابل للتغيـير، ويشكّل أساسًا لكلّ ما نفعله للاستفادة، في هذه الحالة، من قدراتنا العقليّة.

إلّا أنّنـي أودّ أن ألاحـق بعض الشيء مسار التطـوّر الذي رسمتَه حـول مفهوم الحياة باعتباره مفهومًا منظِّمًا في العلوم البيولوجيّة، الأمر الذي أوافق عليه بكلّه واقعًا.

يبـدو لي أنّه يمكن للمرء أي يعمـد إلى شيء من التخمين – وأقول يخمّن في هذه الحالة، لأنّنـا نتحدّث عن المستقبل لا الماضي– ليسأل حول مـا إذا كان مفهوم الطبيعة البشريّة، أو مفهـوم الآليّـات الجوانيّة المنظِّمة، أو مفهوم الاختطاطة الغريزيّـة الذهنيّة (أو أيًّا ما أردتم أن

تسمّوهـا إذ لا أرى فرقًـا كبيرًا بينها، لكن لنسمّها الآن الطبيعة البشريّة) لن تؤمّن للبيولوجيا الذروة التالية التي تحاول الوصول إليها بعد أن أجابت – أقلّه في ذهن علماء البيولوجيا، وإن ظلّ الموضوع محلّ نقاش – عن بعض الأسئلة حول ماهية الحياة بنحو مُرض.

بعبـارة أخرى، ولأكـون دقيقًا، هل من الممكـن أن نقدّم تفسـيرات بيولوجيّة أو حتّى فيزيائيّـة؟ هل من الممكن أن نشخّص، بحسـب المفاهيم الفيزيائيّة، المتوفّرة لنا، قدرة الطفل علـى اكتسـاب منظومات معرفيّة معقّدة؟ بـل أكثر من ذلك، وبنحو نقـديّ ما أمكن، هل نستطيـع أن نفسّر مقدرة الطفل، متى ما أحرز هذه المنظومات المعرفيّة، على الاستفادة منها بطرق حرّة وخلّاقة، بل ومتنوّعة فعلًا، بالطريقة التي يقوم بها؟

هـل يمكننا أن نفسّر بلغة بيولوجيّة، وفي نهاية المطاف بلغة فيزيائيّة، هذه الخصائص، أي تحصيل المعرفة، والاستفادة منها من ثمّ؟ إنّي فعلًا لا أجد أيّ سبب يدفعني للقول إنّنا نستطيع فعـل ذلك؛ إنّهـا مسألة إيمان، فحسب، عند العلماء إذ يعتقـدون أنّهم، لنجاحهم في تفسير كثير من الأشياء الأخرى، سينجحون في تفسير ذلك.

قـد يقول أحدهم إن هذا الموضوع هو من تنويعات إشكاليّة «الذهن والبدن» التقليديّة. ولكـن، إذا نظرنا إلى الماضـي، ورأينا كيف كان العلم يحرز عددًا مـن أبرز إسهاماته، وإلى الطريقـة التي توصّـل بها العلم إلى مفهوم الحيـاة، بعد أن كان فوق تصـوّره لوقت طويل، عندهـا أعتقد أنّنـا سنلاحظ أنّ في كثير من المراحل في التاريـخ – في الواقع يشكّل القرنان السابـع عشـر والثامن عشر أوضح الأمثلـة على هذا الموضوع – كانـت التطوّرات العلميّة ممكنـةً بالتحديد لأنّ مجال العلم الفيزيائـيّ بحدّ ذاته كان قد توسّع. قوى الجاذبيّة عند نيوتن باتـت من الأمثلة الكلاسيكيّة. فبالنسبة إلى الديكارتيّين، كانت الحركة عن بُعد أشبه الأشياء بالمفاهيـم الصوفيّة الباطنة، وكذلك اعتبرها نيوتن خاصّيّةً غيبيّة، بل أمرًا باطنيًّا لا ينتمي إلى العلم. إلّا أنّها، بالنسبة إلى الوعي العامّ للأجيال اللاحقة، باتت جزءًا أصيلًا من العلم.

مـا حصـل هو أنّ مفهـوم البدن، أو ما هـو جسمانيّ، قـد تبّدل بالكامـل. بالنسبة إلى ديكارتيّ متشدّد، إن وُجد مثل هذا الشخص في يومنا، ليس ثمّة من تفسير لسلوك الأجرام السماويّـة، وقطعًا ليس ثمّة أيّ تفسير للظواهر التـي تُفسّرها القوّة الكهرومغناطيسيّة مثلًا. إلّا أنّ اتّسـاع أفق الفيزيـاء لحدّ الآن، واحتوائها لمفاهيم جديدة كليًّـا لم تكن متوفّرةً سابقًا، جعل من الممكن التقدّم ببنًى أكثر تعقيدًا تستطيع أن تستوعب نطاقًا واسعًا من هذه الظواهر.

الأوّليّة في الفيزياء، وهذا يضاهي عجزها عن تفسير مفهوم الحياة.

كذلك، أظنّ أنّ البعض قد يتساءل حول ما إذا كانت العلوم الفيزيائيّة كما هي اليوم، ومنها البيولوجيا، تشتمل على المبادئ والمفاهيم التي تمكّنها من تفسير القدرات الفكريّة الجوّانيّة للبشر، أو تفسير القدرة على استعمال هذه القدرات ضمن ظروف الحرّيّة كما في حالة البشر. وإنّي لا أجد سببًا يدفعني إلى الاعتقاد بأنّ البيولوجيا أو الفيزياء الحاليّة تشتمل على مفاهيم مماثلة. ولعلّه من أجل أن يحقّق العلم انتصاره المقبل، أو يخطو الخطوة التالية، سنحتاج إلى التركيز على هذا المفهوم المنظِّم (الحياة)، وإلى توسعة منظورنا بحيث نقدر على التعاطي معه.

فوكو: نعم

إلدرز: سأحاول أن أطرح سؤالًا آخرًا أكثر دقّةً، وسأستنبطه من إجابتَيكما، لأنّي أخاف إن لم أفعل ذلك أن نستغرق في نقاشنا في دقائق تقنيّة. لقد حصل لديّ انطباع بأنّ واحدًا من أهمّ الاختلافات بينكما يعود إلى اختلاف مقاربتَيكما. فأنت، سيّد فوكو، تهتمّ بشكل خاصّ بطريقة عمل العلم، أو العلماء، في حقبة بعينها، أمّا السيّد تشومسكي فيبدو أنّه يهتمّ أكثر بما يسمّى سؤال الـ«لماذا»؛ لماذا نمتلك اللغة؟ ولا أعني بذلك مجرّد فهم طريقة عمل اللغة، بل اكتشاف السبب الذي يقف وراء امتلاكنا إيّاها.

نحن نستطيع أن نحاول توضيح هذا الموضوع بطريقة أكثر عمومًا. أنت، سيّد فوكو، ترسم حدود العقلانيّة في القرن الثامن عشر، في حين أنّ السيّد تشومسكي يجمع عقلانيّة القرن الثامن عشر إلى مفاهيم أخرى كالحرّيّة والإبداع.

لعلّنا نستطيع أن نوضح هذه المسألة أكثر بأمثلة من القرنَين السابع عشر والثامن عشر.

تشومسكي: يجب أن أقول، أوّلًا، أنّي أقارب العقلانيّة الكلاسيكيّة لا كمؤرّخ للعلوم، أو مؤرّخ للفلسفة، بل من وجهة نظر مختلفة لشخص يمتلك مجموعة من المفاهيم العلميّة، ويهتمّ بفهم كيفيّة قيام الناس، في مراحل سابقة، بتلمّس السبيل المؤدّي إلى هذه المفاهيم، مع احتمال أن يكونوا هم أنفسهم لم يلاحظوا قيامهم بذلك.

إذًا، يمكن القول إنّي أنظر إلى التاريخ لا كخبير بالأثريّات يهتمّ باكتشاف وتحديد قيمة للتفكير في القرن السابع عشر – ولا أقصد أن أبخّس من قيمة هذا النشاط، إلّا أنّه ليس محلّ اشتغالي – بل من منظور محبّ للفنّ، إذا أردتم، محبّ يريد أن ينظر إلى القرن السابع عشر

ليجد فيه أشياء ذات قيمة محدّدة تكتسبها، جزئيًّا، بسبب المنظور الذي يقاربها من خلاله.

وأعتقد، دون الاعتراض على المقاربة الأخرى، أنّ مقاربتي مشروعة؛ بعبارة أخرى، أظنّ أنّه من الممكن أن نعود إلى حقبات سابقة من التفكير العلميّ، بناءً على أسس من فهمنا الحالي، وأن ندرك كيف قام المفكّرون الكبار في تلك الحقبات، مع الأخذ بعين الاعتبار كلّ القيود التي كانت تعوقهم في ذلك الزمن، بتلمّس سبيلهم نحو مفاهيم وأفكار لم يكونوا واعين بها تمامًا.

فمثلًا أعتقد أنّ أيّ شخص يمكنه أن يطبّق هذه الفكرة على فكره هو. من دون أن يحاول أن يقارن نفسه بالمفكّرين العظماء السابقين، يستطيع أيّ شخص أن ينظر إلى حجم معرفته، ويسأل نفسه عمّا كان يعرفه منذ عشرين سنة ليرى أنّه كان يسعى بنحو ضبابيّ نحو أمر وصل إلى فهمه اليوم، هذا بالطبع إذا كان محظوظًا.

وإنّي أعتقد أنّه يمكن أن ننظر بنفس الطريقة إلى الماضي، دون تشويه رؤيتنا، وعلى هذا الأساس أريد أن أنظر إلى القرن السابع عشر. إذًا، حينما أنظر الآن إلى القرن السابع عشر، أو الثامن عشر، ما يصدمني بشكل خاصّ هو الطريقة التي أوصلت ديكارت وأتباعه إلى افتراض كون الذهن جوهرًا مفكّرًا مستقلًا عن البدن. وإذا نظرت إلى السبب الذي أدّى بهم إلى القول بالذهن كجوهر ثان، أو مادّة مفكّرة، فهو قدرة ديكارت على إقناع نفسه – خطأً أو صوابًا، لسنا معنيّين الآن – أنّ الأحداث في العالم المادّي، بل الكثير ممّا في العالَمين السلوكيّ والنفسيّ (الأحاسيس مثلًا)، يمكن تفسيره بحسب ما كان يُعتبر علم الفيزياء في زمانه – وهذه نظرة خاطئة كما نعرف اليوم – أي يمكن تفسير هذه الأحداث على أنها أشياء ترتطم ببعضها وتدور وتتحرّك وما شابه.

هو اعتقد أنّه يستطيع على هذا الأساس، أساس المبدإ الميكانيكيّ، أن يفسّر حقلًا معيّنًا من الظواهر. لكنّه وجد أنّ هناك حقولًا أخرى لا يمكن تفسيرها على أساسه. لأجل ذلك، نحت ديكارت مبدأً خلّاقًا (آخر) وسلّم به، لإعطاء قيمة لهذا الحقل من الظواهر، وهو مبدأ الذهن الذي يمتلك خصائص خاصّة به. وقام أتباع ديكارت فيما بعد، ومنهم كثيرون ممّن لم يعتبروا أنفسهم ديكارتيّين – لدرجة أنّ الواحد منهم كان يرى نفسه معاديًا بشدّة للعقلانيّة – بتطوير مفهوم الإبداع في ظلّ منظومة من القواعد.

لن أستغرق في التفاصيل، إلّا أنّ بحثي في هذا الموضوع أوصلني إلى فريدريش فلهيلم فون همبولدت الذي، وبكلّ تأكيد، لم يعتبر نفسه ديكارتيًّا. إلّا أنّه مع ذلك، وإن صدر عن

إطـار مختلف، واشتغل في حقبـة أخرى، فإنّه، بنحو هو غاية في الإبداع والأهمّيّة، قد طوّر بدوره مفهـوم الصورة (بمعنى ما يقابل المـادّة) المستبطنة. والصـورة المستبطَنة هي، بعبارة ثانيـة، مفهوم الإبداع في ظلّ منظومة من القواعـد. وهمبولدت، في ذلك، كان مهجوسًا بنفـس هواجس الديكارتيّين، أي إنّه كان يعاني من نفس المعضلات، وقد اجترح حلًّا مماثلًا لحلّهم.

إنّي أرى، وهنـا أختلف مع كثير من زملائي، أنّ حركة ديكارت في التسليم بجوهر ثان جـاءت ضمن حركـة علميّة بامتياز، ولم تكن حركة متافيزيقيّـة أو ضدّ–علميّة. في الواقع، كانـت أشبـه ما تكون، وبطرق مختلفـة، بحركة نيوتـن الفكريّة حين صاغ مبـدأ التأثير أو التحريـك عن بُعد؛ كان يتّجه نحو نطاق الغيبيّات إذا أردتم. كان يذهب نحو أمور تتجاوز العلـوم المبنيّة على أسس متينة بمعايير ذلك العصـر، وكان يحاول أن يدمجها بتلك العلوم عبر تطوير نظريّة قادرة على استيعاب تلك المقولات وتوضيحها.

الآن، أظنّ أنّ ديكارت قام بحركة فكريّة مماثلة بافتراضه جوهرًا ثانيًا. وهو بالطبع فشل حيث نجح نيوتن، ذلك أنّه لم يستطع أن يرسي دعائم رياضيّة لنظريّته حول الذهن، كما فعل نيوتن وأتباعه الذين وضعوا قواعد نظريّة رياضيّة حول كيانات فيزيائيّة ماديّة، ما أدخل تلك المفاهيم الغيبيّة، كمفهوم التأثير عن بعد، ولاحقًا مفهوم القوى الكهرومغناطيسيّة وغيرها، ضمن العلم.

إلّا أن ذلك يفرض علينا، بحسب اعتقادي، مهمّة تطوير ما قاموا به، أي التقدّم بنظرية رياضيّـة حول الذهـن؛ وأعني بذلك نظرية محدّدة، متمفصلـة، واضحة التركيب، ومجرّدة، تحمـل نتائج إمبريقيّة تجريديّة، تسمح لنا بأن نعرف ما إذا كانت النظريّة صحيحةً أم لا، وما إذا كانـت تسـير في مسار صحيح أم لا. ففي الوقت عينه الـذي تُحرز فيه خصائص النظريّة الرياضيّـة، أي الصرامـة والدقّة، فإنّهـا تشتمل على بنية تجيز لنا استنبـاط الأحكام بناءً على الافتراضات، وغير ذلك.

وأنـا سأشرع من هذه الوجهـة لأحاول أن أنظر مجدّدًا إلى القرنـين السابع عشر والثامن عشـر، وأختار بعض النقـاط، وهي حاضرة بالفعل، وإن كنت أصرّ وأؤكّد على أنّ المفكّرين المعنيّين، أي الذين ألجأ إليهم كمصادر، قد لا يروا إلى الأمور كما أفعل.

إلدرز: سيّد فوكو، أعتقد أنّك ستقدّم الآن نقدًا شديدًا لما ورد.

فوكـو: لا... هنالك، بالضبط، مسألة، أو مسألتـان، تاريخيّتان. لا أستطيع أن أعترض على بيانـك الذي اشتمل عليه تحليلك التاريخيّ، لكنّي أريد أن أضيف شيئًا: عندما نتحدث عن الإبداعيّـة كما كان يفهمها ديـكارت، أتساءل ما إذا كنت تنسب إلى ديكارت فكرةً نجدها عنـد بعض لاحقيه، أو حتّى بعض معاصريه. فتبعًا لديكارت، لم يكن الذهن مبدعًا حقًّا، بل إنّه يرى ويدرك ويتنوّر بالدليل.

وإلى ذلك، فالمسألة التي لم يحلّها ديكارت أبدًا، ولم يبلورها بصورة كاملة، كانت مسألة فهم الكيفيّة التي يمكن بها الانتقال من واحدة من الأفكار الواضحة والمتميّزة إلى أخرى، أو من أحد الحدوس المباشرة إلى آخر، وأيّ مكانة يجب أن تُعطى للدليل على هذا الانتقال. لا أستطيـع أن أجد، تبعًا لرأي ديكارت، إبداعًا، لا في اللحظة التي فيها يدرك الفكر الحقيقة، ولا في الانتقال من حقيقة إلى أخرى.

وعلـى العكس من ذلـك، في ما أعتقد، ستجد، في الحقبة ذاتهـا، عند كلّ من باسكال وليبنتـز، شيئًـا أقرب إلى مـا تبحث عنه. بـكلام آخر، لـدى باسكال، وكلّ تيّـار التفكير المسيحـيّ الأوغسطينـيّ، ستجد كلامًا على ذهن عميق، ذهن منطـو على خصوصيّة ذاته، ممسوس بشـيء من اللاوعي، يستطيع أن ينمّي استعداداته الكامنة من خلال تعميق الذات. ولهـذا فإنّي أرى أنّ قواعد «بور رويال»[٢] التي تستندون إليها هي أوغسطينيّة، أكثر ممّا هي ديكارتيّة.

إضافـةً إلى ذلك، يوجد عنـد ليبنتز شيء سيسرّكم بكلّ تأكيد، عنيـت فكرة أنّه يوجد، في أعماق الفكر، شبكة من العلاقات المنطقيّة التي تشكّل العقلانيّ الذي، بمعنًى ما، لا يعي الوعي، أو العقلانيّ بما هو غير واع، الشكل الظاهر، وإن ما زال غامضًا، للعقل الذي تنمّيه المونـادة أو الفـرد شيئًا فشيئًا، والذي بفضله نفهم العالم كلّـه. وإن كان لي من انتقاد بسيط، فهو يرتبط بهذه النقطة.

إلدرز: لحظة من فضلك سيّد تشومسكي.

إنّي لا أعتقـد أنّه سؤال في النقد التاريخيّ، بل هـو يتعلّق بتشكيل رؤيتك الخاصّة لهذه المفاهيم الأساسيّة.

فوكو: ولكن آراءنا الأساسيّة يمكن أن تبرهن بواسطة تحليلات دقيقة كهذه.

(٢) التي تقول بأن قواعد اللغة كلّيّة أو عالميّة. المترجم.

إلدرز: حسنًا، ولكنّي أذكر من بعض مقاطع كتابك، **تاريخ الجنون**، أنّه يصف القرنين السابع عشر والثامن عشر باعتبارهما فترات إقصاء وقمع واضطهاد، بينما يرى السيّد تشومسكي أنّ هذه الفترة كانت غنيّة بالإبداع والتفرّد.

لماذا نجد في تلك الحقبة، لأوّل مرّة، عيادات نفسيّة مغلقة ومصحّات عقليّة؟ أعتقد أنّ هذا سؤال تأسيسيّ بكلّ تأكيد.

فوكو: بالنسبة للإبداعيّة، بكلّ تأكيد! ولكن لا أعلم. ربّما يرغب السيّد تشومسكي بالكلام على هذا الموضوع.

إلدرز: لا لا، أرجوك تابع.

فوكو: ببساطة، أرغب أن أقول ما يلي. في الدراسات التاريخيّة التي تمكّنت من القيام بها، أو تلك التي ألزمت نفسي القيام بها، فإنّني لم أخصّص سوى حيّز صغير لما تسمّونه إبداعيّة الأفراد، أي لقدرتهم على الإبداع، لقابليّتهم ابتكار مفاهيم، ونظريّات، أو حقائق علميّة.

لكنّني أعتقد أنّ مشكلتي مختلفة عن مشكلة السيّد تشومسكي. فالسيّد تشومسكي قد خاض معركته ضدّ المدرسة السلوكيّة في الألسنيّة، التي لم تنسب شيئًا، تقريبًا، إلى إبداعيّة الذات المتكلّمة. فهذه الذات لم تكن أكثر من نوع من السطح الذي تتراكم عليه المعلومات، شيئًا فشيئًا، فتقوم بمزجها لاحقًا.

في حقل تاريخ العلوم، أو على الأعمّ، تاريخ الفكر، كانت المشكلة مختلفةً كلّيًا. فتاريخ المعرفة حاول، لفترة طويلة، أن يُخضع نفسه لمقتضيَين؛ الأوّل مقتضى النسبة: ينبغي لكلّ اكتشاف أن لا يموضَع ويؤرّخ فحسب، بل أن يُنسب إلى أحد؛ ينبغي أن يكون له مخترع. ينبغي أن يكون أحدهم مسؤولًا عنه. أما الظواهر العامّة، أو الجماعيّة، التي، بطبيعتها، لا تقبل الانتساب، فعادةً ما تُزدرى وتُسلب القيمة، من خلالها توصيفها بكلمات من مثل «تراث أو تقليد»، و«ذهنيّة»، و«أنماط»، وجعلها تقوم بالدور السلبيّ ككابح يكبّل «أصالة» المبتكِر. بإيجاز، لهذا الاعتبار علاقة مع مبدإ سيادة الذات في ارتباطها بتاريخ المعرفة.

المقتضى الثاني، بدوره، لا يهتمّ بإنقاذ فاعل المعرفة، وإنّما يهتمّ بإنقاذ الحقيقة؛ فلكي لا تختلط الحقيقة بالتاريخ، من الضروريّ، ليس أن تتكوّن الحقيقة في التاريخ، وإنّما فقط أن تظهر فيه، بعد أن كانت تتجوّل في الظلّ، مخفيّةً عن عيون الناس، وغير مقبولة بالنسبة لهم، وإن بصورة مؤقّتة، وتنتظر، في وضعها هذا، أن يأتي من يكشف النقاب عنها.

بذلك، يصبح تاريخ الحقيقة، بصورة أساسيّة، تاريخ تأخّر ظهورها، تاريخ تنزّلها، اختفاء العوائق التي حالت، حتّى الآن، بينها وبين الدخول في حقل الضوء. بالنسبة للحقيقة، فإنّ دور البعد التاريخيّ للمعرفة سلبيّ على الدوام.

لا يصعب أن نرى أن هذين المقتضيين يتداخلان. فالظواهر الجماعيّة (الجمعيّة) والتفكير المشترك، والأفكار المسبقة المرتبطة بأساطير حقبة معينة، تشكّل جميعها عوائق ينبغي لفاعل المعرفة أن يتغلّب عليها ليصل، أخيرًا، إلى الحقيقة؛ ينبغي له أن يبتعد عن مرجعيّة دائرة السائد لكي يتمكّن من الاكتشاف. على مستوًى معيّن، يبدو أنّ هذا ممّا يُدخل بعض «الرومانسيّة» على تاريخ العلم: «عزلة رجل الحقيقة»؛ «الأصالة التي انفتحت مجدّدًا على الأصيل، بوساطة التاريخ ورغمًا عنه». أظن أنّ الأمر يتعلّق بفرض نظريّة للمعرفة وفاعل للمعرفة على تاريخ المعرفة.

ولكن، ماذا لو كان فهم علاقة فاعل المعرفة بالحقيقة نتيجةً من نتائج المعرفة؟ ماذا لو كان الفهم تشكّلًا معقّدًا، متعدّد الأبعاد، غير فرديّ، و«غير خاضع للفاعل»، ومُنتجًا مفاعيل الحقيقة؟ إذ ذاك، ينبغي إعادة الاعتبار إلى الجانب الإيجابيّ لكلّ هذا البعد الذي قد جعله تاريخ العلوم سلبيًّا، وتحليل القوّة المنتجة للمعرفة بوصفها ممارسةً جمعيّةً، وبالتالي، إعادة توضيع الأفراد ومعرفتهم في سياق تطوّر علم يشتغل، في لحظة معيّنة، تبعًا لبعض القواعد التي يمكن تسجيلها ووصفها.

ستقولون لي إنّ كلّ مؤرّخي العلم الماركسيّين يفعلون ذلك منذ زمن بعيد، ولكن، عندما يرى المرء كيف يشتغلون على تلك الظواهر، وبصورة خاصّة، كيف يقابلون بين العلم من جهة، وفكرتَي الوعي والأيديولوجيا، من جهة ثانية، فسيدرك أنّ مؤرّخينا (الماركسيّين) لا صلة لهم، بنسبة أو بأخرى، بنظريّة المعرفة.

في ما يخصّني، فإنّني، غالبًا، مهتمّ بإحلال تحوّلات الفهم محلّ تاريخ اكتشافات المعرفة، وبالتالي، فإنّ لي، ظاهريًّا على الأقلّ، موقفًا من الإبداعيّة يختلف كلّيًّا عن موقف السيّد تشومسكي، لأنّ الأمر، بالنسبة إليّ، يتعلّق بمحو معضلة ازدواجيّة الذات العارفة، بينما، بالنسبة إليه، فهو يرتبط بالسماح للمعضلة بإعادة الظهور.

وإذا تمكّن من جعلها تعود إلى الظهور، وإذا وصفها، فلأنّ ذلك كان ممكنًا. لقد حلّل اللسانيّون الكلام، منذ زمنٍ بعيد، بوصفه نسقًا ذا قيمة جمعيّة. أمّا الفهم، بوصفه كلًّا جمعيًّا من القواعد التي تمكّن هذه المعرفة أو تلك من الظهور في حقبة معيّنة، فلم يُدرس

...القـا حتّى اليوم؛ ولكنّه مع ذلك، يقدّم بعض المواصفات الإيجابيّة للباحث الملاحظ. خذ ... ل الطبّ في القرن الثامن عشر. اقرأ عشرين مؤلّفًا طبّيًا – لا يهمّ أيّها تختار – من المؤلّفات الصادرة بين الأعوام ١٧٧٠ و ١٧٨٠، ثمّ عشرين أخرى صادرة ما بين ١٨٢٠ و ١٨٣٠. ...ن لي أن أقول إنّ كلّ شيء قد تغيّر في غضون أربعين أو خمسين عامًا: ليس فقط الأدوية ... الأمراض وتصنيفها، وإنّما منحى النظر وأفقه كذلك.

من كان مسؤولًا عن ذلك؟ من كان فاعله؟

إن الأمـر يتعلّق بتحوّل جمعيّ معقّد أصـاب الفهم الطبّيّ في ممارسته وفي قواعده. هذا التحوّل بعيد عن أن يكون سلبيًا، إنّه إلغاء للسلبيّة، وإزالة لحاجز، واختفاء للأحكام المسبقة، وتـرك للأساطـير التقليديّة، وتراجع للمعتقـدات اللاعقلانيّة، وأخيرًا ولـوج حرّ إلى حقل التجربة والعقل.

وهذا ما يمثّل تطبيقًا لـ«شبكة Grille» جديدة كلّيًا، لها خياراتها ومستثنياتها؛ إنّها مسرحيّة، أو مقطوعـة، جديدة تمامًا، مع ما يخصّها مـن قواعد، وقرارات، وحدود، ومنطق داخليّ، وثوابـت تتوقّف عليها متغيّراتها، ودروب مغلقـة النهايات، وكلّ ما يؤدّي إلى إعادة تعديل نقطة الانطلاق. وإنّ الفهم ليكمن في هذا النحو من الاشتغال.

وعليـه، فإنّ المـرء إذا درس تاريخ المعرفـة، سيجد اتّجاهَين للتحليل: تبعًـا للأوّل، ينبغي إظهـار كيـف، وفي أيّة ظـروف، ولأيّ سبب، يتغيّر الفهم في قواعـده المكوّنة له، من دون المـرور بـ«مبتكِر» أصيـل يكتشف «الحقيقة». وتبعًا للثاني، علـى الدارس أن يُظهر كيف أن اشتغال قواعد الفهم يمكن أن ينتج، لدى فرد ما، معرفةً جديدةً وغير منشورة.

هنا يتّصل عملي بمشروع السيّد تشومسكي، وإن بمناهج ناقصة ومن نمط أدنى. والفكرة هي تفسير كيفيّة قيام الأفراد بإنتاج كلّيّات، أو جمعيّات، انطلاقًا من قواعد قليلة أو عناصر محدّدة. لكـي يعالج هذه المسألة، على السيّد تشومسكـي أن يُدخل معضلة الفاعل (الذات العارفـة) في الإعراب النحويّ من جديد. ولكي أعالـج مسألةً مشابهةً في الحقل التاريخيّ الـذي هو مورد اهتمامي، عليّ أن أفعل العكس: أي إدخال وجهة نظر الفهم – في قواعده وأنساقه وتحوّلات كلّيّاته – في لعبة المعرفة الفرديّة. في كلا الحالَين، لا تُعالج مسألة الإبداعيّة بالصورة نفسهـا. أو على الأصحّ، لا يمكن أن تصاغ بالعبارات نفسها، إذا أخذنا بالاعتبار اختلاف الأنساق المعرفيّة التي تندرج فيها.

تشومسكي: أعتقد أنّنا في هذا الجزء لا نتقاطع على الموضوع نفسه، وذلك بسبب الاستخدام المختلف لمفردة «إبداعيّة». وأودّ أن أقول إنّ استخدامي للمصطلح يحمل بُعدًا غريبًا بعض الشيء، لذا فإنّ عبء الاستدلال يقع على عاتقي لا على عاتقك. إذ إنّي حين أتكلّم عن الإبداع، أو الخلّاقيّة، فأنا لا أربطه بنحو من القيمة التي عادةً ما تتبادر إلى الذهن بشكل طبيعيّ حين الحديث عن الإبداع. إذ حين الحديث عن الإبداع العلميّ فأنت تتحدّث عن إنجازات كتلك التي حقّقها نيوتن. أمّا الإبداع في السياق الذي أعنيه فهو عمل إنسانيّ طبيعيّ للغاية.

إنّي أتحدّث عن ذاك النحو من الإبداع الذي يظهره أيّ طفل عندما يتعاطى مع ظرف مختلف، أو وضع مستجدّ. فهو يستطيع أن يشخّصه بشكل جيّد، وأن يتفاعل معه بطريقة صحيحة، وأن يُحدّث عنه، وأن يفكّر فيه بطريقة جديدة وما إلى ذلك. أعتقد أنّ من الصواب أن نسمّي هذه الأفعال بالمبدعة، لكنّها قطعًا ليست بمستوى إبداع أفعال نيوتن.

قد يكون صحيحًا، في الواقع، أنّ الإبداع في الفنون والعلوم، أي ذاك الذي يتعدّى ما هو طبيعيّ، قد ينطوي على خصائص من الطبيعة البشريّة، قد لا تكون موجودة بشكلها المتطوّر الكامل عند عموم البشر، وقد لا تشكّل جزءًا من الإبداع الذي نجده بنحو طبيعيّ أو عاديّ. لكن، في اعتقادي، فإنّ بإمكان العلم أن ينظر إلى مشكلة الإبداع، في المستوى الذي ذكرتُه، كموضوع يمكن أن نعتبره داخل-علميّ. إلّا أنّني لا أؤمن، وأشكّ بأنّك ستوافقني الرأي، بأنّ العلم يستطيع أن يتطلّع قُدُمًا، على الأقل في المستقبل القريب، إلى إحكام القبضة على القدرة على الإبداعي الحقيقيّ، أي على إنجازات المبدعين والعلماء العظام، إذ ليس لديه أمل حتّى بأن يؤقلم هذه الظواهر الفريدة -بمعنى اعتبارها داخل-علميّة- حتّى يستطيع القبض عليها.

أمّا ما قلتَه في ما يخصّ تاريخ العلم، فأعتقد أنّ هذا الأمر صحيح، ويكشف الكثير. وهو في الواقع وثيق الصلة بما يحصل، في يومنا، في مجالات علم النفس واللسانيّات وفلسفة الذهن. أي إنّي أوافق أنّ هناك موضوعات محدّدة قُمعت، أو وُضعت جانبًا، خلال فترة التقدّم العلميّ في القرون القليلة الماضية.

فمثلًا، كان الاهتمام بالإبداع الاعتياديّ -من النوع الذي في بالي- حاضرًا عند ديكارت؛ حين يتكلّم، مثلًا، عن الفرق بين الببغاء الذي يستطيع أن يقلّد ما يُردّد أمامه من أقوال، وبين الإنسان الذي يستطيع أن يقول أمورًا جديدة تناسب الوضع الذي هو فيه،

وحين يرى في هذا الفعل الخاصيّة المميّزة التي ترسم الحدود التي تقف عندها الفيزياء قبل أن ننتقل إلى علوم الذهن – لأستعمل تعبيرًا معاصرًا. ولا أخالفك، كذلك، في تعليقاتك حول المصادر الأخرى للموضوعات التي نناقشها. فالتصوّرات حول تنظيم بنية الجملة كانت قد وُضعت جانبًا لفترة طويلة إثر التقدّمات الهائلة التي حقّقها ويليام جونز وغيره في تطوير علم فقه اللغة المقارن بمجمله.

لكنّي أظنّ، الآن، أنّنا نستطيع أن نذهب إلى ما بعد تلك الحقبة التي كان لزامًا فيها نسيان هذه الظواهر، والادّعاء أنّها غير موجودة، والالتفات إلى أمور أخرى. في هذه الفترة من علم فقه اللغة المقارن، ومن اللسانيّة البنيويّة، كما وفي كثير من علم النفس السلوكيّ، وغير ذلك ممّا نتج عن التقاليد الإمبريقيّة في دراسة الذهن والسلوك، يمكننا أن نضع جانبًا هذه التقييدات، وأن نأخذ بعين الاعتبار حصرًا تلك الأفكار التي أدّت إلى حراك واسع في التفكير والتطلّعات في القرنَين السابع عشر والثامن عشر، وأن ندمج كلّ ذلك في علم للإنسان ذي نطاق أوسع وأعمق على ما أعتقد، الأمر الذي سيعطي دورًا أكمل، ولو أنّنا لا نتوقع منه أن يعطي دورًا مهمًّا تامًّا، لتلك المفاهيم من قبيل الخلّاقيّة والإبداع والحرّيّة، وإنتاج جداول من المقولات الجديدة والعناصر الجديدة من الفكر والسلوك ضمن منظومة من القواعد والاختطاطات. هذه هي التصوّرات التي أعتقد أنّنا نستطيع أن نحاول فهمها.

إلدرز: حسنًا، هل أستطيع أن أطلب منك، أوّلًا، أن تختصر في إجاباتك؟ [يضحك فوكو].

أعتقد أنّ أحد الالتباسات – إن كان ثمّ من التباس – التي وقعت حين مناقشتك الحرّيّة والإبداع هي من واقع أنّ السيّد تشومسكي ينطلق من عدد محدّد من القواعد ليستخرج منه احتمالات لا متناهية في مجال التطبيق، بينما أنت، سيّد فوكو، تشدّد على لابُدّيّة «شبكة» الحتميّات التاريخيّة والنفسيّة، التي تنطبق أيضًا على الطريقة التي نكتشف بها أفكارًا جديدة.

لعلّنا نستطيع أن نحلّ هذا الموضوع بطريقة ما، لا بتحليل المسار العلميّ، بل بتحليل مسار، أو عمليّة، تفكيرنا. فحين تكتشف قواعد تأسيسيّةً جديدةً، سيّد فوكو، أقلّه فيما يرتبط بإبداعيّتك، هل تؤمن بأنّ شيئًا ما يطرأ يجعلك تتحرّر، وأنّ شيئًا ما كان يتطوّر؟ لعلّك تكتشف فيما بعد أنّه ليس شيئًا جديدًا، لكن، هل تؤمن، أنت، أنّ في نفس شخصيّتك خلّاقيّة وحرّيّة تعملان سويّةً أم لا؟

فوكو: أوه، أنت تعلم، أنا لا أعتقد أن التجربة الشخصيّة هامّة جدًّا في مسألة من هذا القبيل.

لا. أعتقد أنّه يوجد، واقعًا، شبه كبير، بين ما قاله السيّد تشومسكي، وما أحاول أن أبرهنه. بتعبير آخر، يوجد، واقعًا، فقط إبداعات ممكنة، وابتكارات ممكنة. فيما خصّ المعرفة أو اللغة، يمكن، فقط، إنتاج شيء جديد بتشغيل عدد من القواعد التي تحدّد مقبوليّة، أو نحويّة، منطوق ما في مجال الكلام، ومدى علميّة منطوق ما في مجال العلم.

وهكذا، فعلماء الألسنيّة، قبل السيّد تشومسكي، ركّزوا، غالبًا، على بناء المنطوق (الجمل)، وبصورة أقلّ، على التجديد أو الابتكار الذي يحمله كلّ منطوق جديد، مكتوب أو مسموع. في تاريخ العلوم، أو تاريخ الفكر، كان التركيز على الإبداع الفرديّ، وكانوا يتجاهلون القواعد المشتركة والعامّة التي تؤثّر بصورة خفيّة خلال كلّ اكتشاف علميّ، أو اختراع تقنيّ، أو تجديد فلسفيّ. بهذا الاعتبار، فعندما أعتقد خطأً أنّي أقول شيئًا جديدًا، فإنّني أدرك، على الأقل، أنّ في منطوقي الجديد هذا قواعد عملت على إخراجه، أو صياغته – قواعد إبستمولوجيّة، وليس فقط قواعد ألسنيّة. وهذه القواعد هي ما يميّز المعرفة العلميّة المعاصرة.

تشومسكي: لعلّي أستطيع أن أتفاعل مع هذه التعليقات، من خلال نطاق عملي، بطريقة تسلّط الضوء على ذلك.

لنفكّر مجدّدًا بالطفل الذي يملك في عقله شيئًا من الاختطاطة التي تحدّد طبيعة اللغة التي يستطيع أن يتعلّمها. ثمّ، بعد تحصيل الخبرة، يتعلّم اللغة التي تشتمل على هذه الخبرة. وهذا تصرّف طبيعيّ؛ أي تصرّف شخص ذي ذكاء طبيعيّ، لكنّه فعل مبدع للغاية.

ولو نظر مرّيخيٌّ إلى هذا السياق من تحصيل هذه المنظومة المعقّدة والواسعة، والصعبة الفهم، من المعرفة على أساس هذه الكمّيّة الضئيلة من المعلومات، سيرى في هذا الأمر إبداعًا وخلقًا. بل إنّ المرّيخيّ سيعتبره، على ما أعتقد، إنجازًا لا يقلّ أهمّيّةً عن أيّ إنجاز يحقّقه، فلنقل، عالم في مجال الفيزياء وضع نظريّةً على أساس المعلومات التي قدّمت له. على كلّ حال، لو لاحظ هذا المرّيخيّ المفترَض أنّ كلّ طفل طبيعيّ يحمل تلقائيًّا القدرة على القيام بهذا الفعل الخلّاق، وأنّ كلّ الأطفال يقومون بهذا الفعل بنفس الطريقة دون أن يواجهوا أيّ صعوبة، بينما يأخذ التقدّم المبدع قرونًا من العبقريّة لينتقل من الدليل إلى النظريّة العلميّة، عندها سيستنتج، إذا كان عقلانيًّا، أنّ بنية المعرفة التي تُحصَّل في تعلّم اللغة هي شأن من الشؤون الجوّانيّة لذهن الإنسان، أو هي ناتجة عن بنية ذهنيّة جوّانيّة. فذهننا ليس مُصمّمًا بحيث إنّك إذا نظرت إلى أيّ ظاهرة في العالم تبادرت إليه النظريّة الفيزيائيّة،

فتكتبها وتنتجها؛ هذه ليست طريقة عمل ذهننا.

لكنّي أعتقد، مع ذلك، أنّ هناك نقطة ارتباط محتملةً، وأظن أنّه من الجيّد أن نتوسّع فيها. وهي كيف يمكن لنا أن نبني أيّ نوع من أنواع النظريّة العلميّة مطلقًا؟ كيف يمكن أن تصل مجموعة من العلماء، بل قل مجموعة من العباقرة، على المدى الطويل، إلى نظريّة، أقلّه في بعض الحالات، عميقة، أو ملائمة، بالمعنى التجريبيّ؟ هذه حقيقة مهمّة.

وفي الواقع، لو لم يكن هؤلاء العلماء، والعباقرة من ضمنهم، يشرعون من تقييدات ضيّقة فيما خصّ نوع النظريّات العلميّة الممكنة، ولو لم يكن لهم بنية ذهنيّة ما، تحدّد بنحو غير واع معنى النظريّة العلميّة الممكنة، فإنّ هذه القفزة الاستنباطيّة كانت لتكون مستحيلةً. وكذلك، لو لم يشتمل الطفل على بنية ذهنيّة جوّانيّة، تحدّد معنى اللغة البشريّة بنحو ضيّق، فالقفزة من المعطيات المحدودة إلى معرفة اللغة كانت لتكون مستحيلة.

إذًا، بالرغم من أنّ اشتقاق المعرفة الفيزيّائيّة، أو النظريّة الفيزيائيّة، من المعطيات المحدودة المتوافرة، أمر صعب ومعقّد بالنسبة كائن مثلنا، بل هو أمر يستغرق زمنًا ممتدًّا، ويحتاج إلى عبقريّة، لكن، مع ذلك، فإنّه، كإنجاز، لا يختلف كثيرًا عن اكتشاف الطفل العاديّ لبنية اللغة: أي كلاهما يتحقّق على أساس وجود تقييدات وضوابط ابتدائيّة تعيّن نطاق النظريّات الممكنة. فإن لم تكن نقطة الانطلاق هي معرفة أن بعض الأمور فقط تصلح كنظريّة، فأيّ استنباط يكون ممكنًا عندها؟ إذ يمكن للمعلومة أن تأخذك إلى أيّ مكان وفي أيّ اتّجاه. وحقيقة أنّ العلم يتقدّم ويتحوّل تثبت لنا أنّ مثل هذه القيود الابتدائيّة والبنى موجودة بالفعل.

فإذا ما أردنا حقًّا أن نطوّر نظريّةً حول عمليّة الإبداع العلميّ، أو الفنّيّ إن شئت، فأظنّ أنّ علينا أن نركّز على تلك المجموعة من الشروط التي، من جهة، تحدّ نطاق معرفتنا المحتملة وتقيّده، وتسمح، من جهة أخرى، بتحقيق قفزة استنباطيّة نحو منظومات معقّدة من المعرفة على أساس كمّيّة ضئيلة من المعلومات. وهذا، بحسب ما أرى، يشكّل طريقًا للتقدّم نحو نظريّة في الإبداع العلميّ، أو، في الواقع، نحو أيّ سؤال حول الإبستمولوجيا.

إلدرز: عندي انطباع أنّنا سنجد، فيما لو أخذنا هذه المسألة التي تتناول القيود الأوّليّة مع كلّ احتمالات الإبداع فيها، أنّ السيّد تشومسكي لا يرى تعارضًا بين الحرّيّة والقواعد، بل الواحد منهما ينطوي على الآخر. إلّا أنّ المسألة، فيما أرى، هي عكس ذلك بالنسبة إلى السيّد فوكو. إلام يرجع هذا الاختلاف، لأنّ هذه نقطة تأسيسيّة مهمّة جدًّا في هذا النقاش،

وأتمنّى أن نستطيع أن نستفيض فيها بعض الشيء؟

لأعيد صياغة سؤالي بكلمات مختلفة: هل تستطيع أن تتصوّر معرفة كلّيّةً تخلو، رغم كلّيّتها، من أيّ شكل من أشكال الاضطهاد؟

فوكو: حسنًا، قد لا أكون فهمت جيدًا ما قاله السيّد تشومسكي، ولكن يبدو لي، فيما قاله، أنّ ثمّة ما يخلق مشكلةً صغيرةً؟

أعتقد أنّك كنت تتناول عددًا محدودًا من الإمكانات في مجال النظريّة العلميّة. هذا يصحّ، إذا حصرت الأمر في حقبة قصيرة نسبيًّا، ولكن إذا أخذت حقبةً طويلةً، فما يلفتني، بصورة واضحة، هو تولّد الإمكانات عن طريق **التشعّب** divergence. لزمن طويل، ساد الاعتقاد أنّ العلوم – المعرفة – تتّبع، في تطوّرها، خطّ تقدّم يحكمه مبدأ النموّ ومبدأ **تقاطع** convergence كلّ هذه الأنواع من المعرفة. مع ذلك، فعندما نرى كيف نما الفهم الأوروبّيّ الذي انتهى إلى أن يصبح الفهم العالميّ الشامل، تاريخيًّا وجغرافيًّا، فهل بإمكاننا أن نثبت أنّه كان هنالك نموّ متصاعد؟ أفضّل أن أقول إنّه كان هناك تحوّل.

فلنأخذ، مثلًا، تصنيفات الحيوانات والنباتات. كم من مرّة أعيدت كتابتها، منذ العصور الوسطى، تبعًا لقواعد مغايرة كلّيًّا لما سبق؟ فمن قواعد الرمزيّة، إلى قواعد التاريخ الطبيعيّ، فقواعد التشريح المقارن، فنظريّة التطوّر. وفي كلّ مرّة، تجعل إعادة الكتابة هذه العلمَ مختلفًا كلّيًّا في وظائفه، وفي فعاليّة اشتغاله، وفي علاقاته الداخليّة. لدينا هنا تشعّب أكثر ممّا لدينا نموّ متصاعد. أفضّل أن أقول إنّه يوجد طرق متعدّدة لجعل عدد صغير من المعارف العلميّة ممكنةً في الوقت نفسه. بالنتيجة، هنالك دائمًا، من وجهة نظر معيّنة، فائض من **المعطيات** ذات العلاقة بأنساق ممكنة لحقبة زمنيّة محدّدة. وهذا ما يفرض عليها أن تجرّب في هذه الحدود، وما يمنع إبداعيّتها من التحقّق. إلى جانب هذه الوجهة، هنالك وجهة أخرى، هي وجهة نظر المؤرّخ؛ فائض أو تكاثر في الأنساق لعدد قليل من المعطيات. ومن هنا تأتي الفكرة الشائعة والقائلة إن اكتشاف الوقائع (الظواهر) الجديدة هي التي تحدّد حركة تاريخ العلم.

تشومسكي: هنا، مرّةً أخرى، دعني أحاول أن أتقدّم بصياغة. إنّي أوافقك في تصوّرك حول التقدّم العلميّ، إذ إنّي لا أظنّ أنّ التقدّم العلميّ هو مجرّد زيادة تراكميّة لمعارف جديدة، أو تشرّب لنظريّات جديدة، وما إلى ذلك. بل هو، كما تقول، ذو طابع متقطّع، بحيث يتناسى بعض المشاكل، ويقفز نحو نظريّات أخرى...

فوكو: ويحوّر المعرفة القديمة إيّاها.

تشومسكي: صحيح، لكنّي أعتقد أنّ بالإمكان تخمين تفسير لذلك. وإذا ما بسّطنا الأمر إلى أقصى الحدود – وأنا فعلًا لا أعني ما أقوله حرفيًّا – فإنّ الخطوط العريضة التالية صائبة شيئًا ما: يبدو الأمر وكأنّنا، كبشر، ذوو تنظيم بيولوجيّ محدّد، نملك في رؤوسنا، كبداية، مجموعةً من البنى الفكريّة المحتملة، أو العلوم المحتملة.

وإذا مـا صادف أن يتقاطع أحد وجوه الحقيقة مع أحد هذه المباني في ذهننا، فإنّنا نتوافر عندها على علم؛ أي إنّه ومن حسن الحظّ أن تلتقي مباني ذهننا مع مباني إحدى أوجه الواقع بشكل كاف لتطوير علم واضح المعالم.

وهـذا التقيّـد الأوّلي، في أذهاننا، هو بالتحديـد ما يرفد الغنى والإبـداع العظيمَين في المعرفـة العلميّة. ومن المهمّ أن نؤكّد – وهـذا يتعلّق بالنقطة التي أثرتَها حول التقييد والحرّيّة – علـى أنّه لـولا هذه القيود لما أمكن حصول فعل الإبداع التـي ينتقل بنا من كمٍّ ضئيل من المعرفة، وكمٍّ ضئيل من الخبرة، إلى معرفة غنيّة، ومعقّدة، ومنظّمة، وعالية التمفصل، لأنّه لو كان كلّ شيء ممكنًا، لما كان شيء ممكنًا.

لكـن، وبالتحديد، بسبب هذه الخاصّيّة في أذهاننا، والتـي لا نفهمها بالتفصيل – وإن كنّـا برأيي نستطيع أن نبـدأ بتلمّسها بصورة عامّة – والتي تزوّدنـا ببعض المباني الواضحة، والتي تحوز اهتمامنا، أو تجافيه، في سياق التاريخ والفهم والخبرة، أقول بسبب هذه الخاصّيّة الموجـودة في أذهاننـا بالتحديد يتّسم تطـوّر العلم، برأيـي، بطابعه المتقطّـع والعصيّ على التحديد.

إلّا أنّ ذلـك لا يعنـي أنّ كلّ شيء سيقع أخيرًا ضمن نطاق العلـم. بل أعتقد شخصيًّا أنّ كثيرًا من الأشياء التي نودّ فهمها، وربّما الأشياء التي نتمنّى فعلًا أن نفهمها، كطبيعة الإنسان، أو طبيعـة المجتمع اللائق، أو غيرها الكثير، كلّها تقع خارج نطاق الدراسة الإنسانيّة العلميّة الممكنة.

إلـدرز: حسنًا، أظنّ أنّ سؤال العلاقة الداخليّة بين الحرّيّة والتقييد ما زال يلاحقنا. هل توافق سيّد فوكو على تصريحه حول دمج القيود، القيود الأساسيّة؟

فوكو: المسألة ليست مسألة مزج. الإبداع الممكن هو الذي يجعل نظامًا من القواعد؛ وليس الإبـداع مزيجًا من النظام والحرّيّة. قـد لا أكون على وفاق تامّ مع السيّد تشومسكي عندما

بموضع مبدأ قواعد الانتظام هذه في الذهن، أو في الطبيعة البشريّة، بمعنًى من المعاني.

لو كانت المسألة هي أن نعلم إذا كان الفكر البشريّ هو الذي يشغِّل، فعليًّا، هذه القواعد، فلا بأس. ولا بأس، كذلك، إذا كانت المسألة هي أن نعلم ما إذا كان المؤرّخ أو اللسانيّ يفكّر هذه القواعد. لو كان ذلك كذلك، فينبغي لهذه القواعد أن تجعلنا ندرك ما يقوله أو يفكّر به الأفراد. ولكنّي أجد صعوبةً بالغةً في قبول كون تلك القواعد مرتبطةً بذهن الإنسان، أو طبيعته، بوصفهما شرطَين لوجودها: يبدو لي أنّ علينا، قبل تناول هذه المسألة – على كلّ حال، أنا أتكلّم فقط على الفهم – أن نموضع تلك القواعد في حقل الممارسات الإنسانيّة الأخرى: الاقتصاديّة والسياسيّة والسوسيولوجيّة والتقنيّة التي تشكل، بالنسبة لها، شروط تكوّن وظهور، وأنماط. أتساءل عمّا إذا لم تكن قواعد الانتظام والإلزام التي تجعل العلم ممكنًا، قائمةً في مكان آخر، خارج الذهن البشريّ، في أشكال اجتماعيّة؛ في علاقات الإنتاج، وفي الصراعات الطبقيّة وغيرها. فالحقبة التي أصبح فيها الجنون موضوعًا لدراسة علميّة ومعرفة علميّة في الغرب، مثلًا، تبدو لي مرتبطةً بوضع اقتصاديّ واجتماعيّ خاصّ.

يمكن أن يكون الفرق بيني وبين السيّد تشومسكي هو أنّه عندما يتكلّم على العلم، يُحتمل بقوّة أنه يفكّر في التنظيم الصوريّ للمعرفة، بينما أنا أتكلّم على المعرفة نفسها، أي محتوى المعارف المختلفة المبثوثة في مجتمع خاصّ، فتتغلغل في هذا المجتمع، وتكوّن أساس التربية والنظريّات والممارسات فيه.

إلدرز: ولكن، ماذا تعني نظريّة المعرفة هذه بالنسبة لفكرتك حول موت الإنسان، أو حول انتهاء حقبتَي القرن التاسع عشر والعشرين؟

فوكو. ولكن ليس لهذا علاقة بموضوع النقاش.

إلدرز: لا أعرف، لأنّي كنت أحاول أن أطبّق ما قلته على مفهومك الأنثروبولوجيّ؛ لقد رفضتَ، بالفعل، الحديث عن إبداعك وحرّيتك، أليس كذلك؟ إنّي أتساءل عن السبب السيكولوجيّ لذلك؟

فوكو [معترضًا]: حسنًا، يمكن لك أن تتساءل، ولكنّني لا أستطيع أن أساعدك بشيء.

إلدرز: لكن ما هي الأسباب الموضوعيّة، المتعلّقة بتصوّرك لعمليّة فهم المعرفة والعلم، التي أدّت إلى رفضك الإجابة عن مثل هذه الأسئلة الشخصيّة؟ حيث يكون هناك مسألة متوجّهة إليك، ما هي الأسباب التي تؤدّي بك إلى خلق مشكلة من السؤال الشخصيّ؟

فوكو: كلّا، أنا لا أجعل من سؤال شخصيّ مشكلةً، وإنّما اجد في السؤال الشخصيّ انعدام المشكلة القابلة للبحث. دعني أعطيك مثالًا بسيطًا، وإن كنت لن أحلّله، وهو التالي: ما الذي حصل في القرن الثامن عشر ليبدأ الناس، لأوّل مرّة في تاريخ الفكر والمعرفة الغربيّين، بفتح جثامين الأشخاص ليعرفوا مصدر المرض الذي تسبّب بالوفاة؟

تبدو الفكرة بسيطةً بما يكفي. لقد احتجنا إلى أربعة أو خمسة آلاف سنة في الغرب لكي تبرز فكرة النظر في الجثّة لنصل إلى معرفة علّة الداء. إن حاولت أن تُرجع ذلك إلى بيشا [طبيب فرنسيّ أوّل من قام بذلك] فلا أرى فائدةً في ذلك. أمّا، في المقابل، إن حاولت أن تؤسّس لموقع الموت والمرض في مجتمع معيّن، وما كانت الدوافع الصناعيّة والاقتصاديّة التي دعت إلى مضاعفة عدد السكان، وبالتالي، الشروع بالإحصاءات الطبيّة، وبناء المستشفيات الكبرى، أقول إن حاولت أن تجد كيف تمأسست المعرفة الطبّيّة في تلك الحقبة، وكيف انتظمت علاقتها بأنواع المعارف الأخرى، ستجد كيف بات هذا النحو من العلاقة، بين المرض والمريض والجثّة والتحليل المرضيّ، ممكنًا.

إلدرز: نعم، لكن في كلّ الأحوال، لكان من المثير فعلًا أن نعرف أكثر عن حججك في مقابل ذلك.

هل تستطيع سيّد تشومسكي – وهذا آخر أسئلتي في الجزء الفلسفيّ من النقاش – أن تعطينا أفكارًا حول، مثلًا، طريقة عمل العلوم الاجتماعيّة؟ ما في بالي الآن هو هجومك العنيف على السلوكيّة. ولعلك تستطيع أن توضح، بعض الشيء، السبب الذي يدفع السيّد فوكو للتصرّف بسلوكيّة شيئًا ما؟

[يضحك الفيلسوفان].

تشومسكي: أريد أن أخالف أوامرك قليلًا لأعلّق على ما قاله السيّد فوكو للتوّ. أعتقد أنّ قوله يوضح تمامًا كيف أنّنا نحفر في الجبل في اتّجاهَين متعارضَين تمامًا كما وصفت سابقًا. ذلك أنّي أعتقد أنّ أيّ إبداع علميّ يعتمد على حقيقتَين: أولاهما خاصّية جوهريّة في الذهن، والثاني بعض الأحوال الفكريّة والاجتماعيّة الموجودة. ولا يجب أن نختار بين هذَين الموضوعَين، بحسب ما أرى، لندرس الاكتشاف العلميّ ونفهمه، بل نحن سنفهمه، ونفهم كذلك أيّ شكل آخر من أشكال الاكتشاف، حين نعلم ماهيّة هذَين العنصرَين المؤثّرَين، وبالتالي نستطيع تفسير كيفيّة تفاعلهما بطريقة معيّنة.

ويكمن اهتمامـي الفعليّ، في هذا الموضوع على الأقلّ، في القدرات الجوهريّة للذهن؛ وذهنك، كما تقول، هو بالتحديد ضمن تلك الأنساق الاجتماعيّة والاقتصاديّة وغيرها.

فوكـو: ولكـن، لا أعتقد أنّ الفرق بيننا مرتبط بسجايانـا، لأنّه، لو كان الأمر كذلك، يكون السيّد إلدرز محقًّا، ويجب أن لا يكون محقًّا.

[نهاية الجزء الأوّل من المقابلة، ويليه الجزء الذي يشتمل على أسئلة الجمهور(٣)].

(٣) تجده في العدد القادم [٢٨] من مجلة المحجة.